نيران صديقة

هاله الشناوي

نِيرَان صَدِيقَة (قصة قصيرة)

الخازندار للنشر الالكتروني

****

العنوان :جوار مدرسة اللواء رفعت عاشور الثانوية- ميت سلسيل- الدقهلية

هاتف : ٠١٠٠٠٠٩٩٣٩٠

العنوان: نِيرَان صَدِيقَة

الكاتب:هالة الشناوي

اخراج فني: الخازندار للنشر الالكتروني

جميع حقوق النشر الالكتروني محفوظة للكاتب/ة تحت اشراف موقع الخازندار للنشر الالكتروني، و غير مسموح بنقله أو مشاركته أو نشره الكترونيا دون اذن مكتوب من الكاتب

الخازندار

نيران صديقة

قصة قصيرة

هالة الشناوي

_ أَيَّتُهَا اَلْحَمْقَاءِ! هَلْ تُقَدِّرِينَ حَجْمُ خَسَائِرِي اَلْيَوْمِ؟! _ اَلزِّفَافُ سَيُلْغَى بِسَبَبِ طَيْشكِ، وَمَهْمَا فَعَلَتِ لَنْ نُقِيمَهُ مُجَدَّدًا.

اِسْتَقْبَلَتْ أُذُنَيْهَا هَاتَيْنِ اَلْعَبَّارَتَيْنِ مِنْ زَوْجِهَا اَلْمُسْتَقْبَلِيِّ وَوَالِدَتِهِ، مَعَ اَلْكَثِيرِ مِنْ نَظَرَاتِ اَلْغَضَبِ وَالِامْتِعَاضِ! تَنْظُرُ لِأَسْفَلِهَا بِعَيْنٍ قَدْ تَشَوَّشَتْ اَلرُّؤْيَةُ أَمَامَهَا، حَاوَلَتْ أَنْ تُرَكِّزَ فِي عَيْنَيْهِ لِتَبْحَث عَنْ نَظَرَاتِ عِشْقٍ مِنْهُ كَثِيرًا مَا أَغْدَقَهَا بِهَا لَكِنَّهَا اِخْتَفَتْ! حَاوَلَتْ أَنْ تَرَى جَزَع فِي عَيْنَيْهِ وَقَلَقٍ عَلَى مَصِيرِهَا، فَلَمْ تَجِدْ! كُلُّ مَا وَجَدَتْهُ هُوَ غَضَبٌ شَدِيدٌ لِمَا تَكَفَّلَ بِهِ مِنْ حَجْزِ قَاعَةِ اَلزِّفَافِ وَمَصَارِيفَ لِتِلْكَ اَلْحَفْلَةِ ، وَمَا يَشْغَلُهُ وَيَزِيدُ مِنْ غَضَبِهِ عَلَيْهَا هُوَ كَيْفَ سَيُبَرِّرُ إِلْغَاءُ اَلْأَمْرِ لَمِنْ دَعَاهُمْ لِحُضُورِهِ وَالِاعْتِذَارِ إِلَيْهِمْ! وَهِيَ؟ لَا تَشْغَلُهُ عَلَى اَلْإِطْلَاقِ! مُعَلَّقَةً بَيْنَ اَلسَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَا يُبَالِي! عَائِلَتَهَا بِالْأَسْفَلِ تَتَشَاجَر مَعَهُ، وَوَالِدَتُهَا جَالِسَةٌ بِحَالَةٍ يُرْثَى لَهَا تَنْظُرُ إِلَيْهَا وَتَبْكِي بِارْتِيَاعٍ، خَوْفًا مِنْ أَنْ تَفْقِدَ اِبْنَتَهَا تَمَاسُكُهَا فَتَسْقُطُ قَبْلَ مَجِيءِ سَيَّارَةِ اَلْمَطَافِئِ . . جَالِسَةً اَلْعَرُوسِ بِفُسْتَانِ زِفَافِهَا أَسْفَلَ إِفْرِيزِ نَافِذَةِ شَقَّةِ أُسْرَتِهَا فِي بَلْدَةِ وَالِدِهَا . . وَاَلَّتِي يَنْهَشُهَا حَرِيقٌ لَا تَعْرِفُ مِنْ أَشْعَلَهُ؟! وَمَا اِضْطَرَّهَا لِلْجُلُوسِ هَكَذَا هُوَ أَنَّ غُرْفَتَهَا قَدْ اِمْتَلَأَتْ بِالدُّخَانِ اَلْخَانِقِ . . جَالِسَةً عَلَى فَاصِلٍ بَارِزٍ بَيْنَ اَلطَّابَقَيْنِ اَلثَّالِثِ وَالرَّابِعِ تَحْتَ نَافِذَتِهَا مُبَاشَرَةٍ، وَيَدُهَا قَدْ تَشَبَّثَتْ بِحَاجِزِ اَلنَّافِذَةِ بِقُوَّةٍ بَدَأَتْ تُضْعِفُ لِأَسْبَابِ عِدَّةٍ، تُبْقِي عَيْنَيْهَا مَفْتُوحَةً رَغْمَ إِنْهَاكِهَا اَلْوَاضِحِ وَظَهْرِهَا تُلْصِقهُ بِالْحَائِطِ مِنْ خَلْفِهَا كَيْ تَتَجَنَّبَ اَلسُّقُوطَ بِصُعُوبَةٍ شَدِيدَةٍ، نَظَرَتْ لِلْأَعْلَى

لِتَطْلُب اَلْعَوْنَ مِنْ رَبِّهَا خَاصَّةً أَنَّ مِنْ بِالْأَسْفَلِ قَدْ اِنْكَشَفَتْ حَقِيقَتُهُمْ فِي وَقْتِ قَاتِلٍ . . فَسَمِعَتْ صَوْتًا عَالِيًا لَا تَعْرِفُ صَاحِبَهُ وَهُوَ يُنْهِي عَرِيسُهَا عَنْ إِطْلَاقِ عِبَارَاتِ اَلتَّوْبِيخِ لَهَا قَائِلاً بِسُخْطٍ:

_ تَوَقُّفْ يَا رَجُلٌ ، أَأَنِتْ أَعْمَى؟! أَلَا تَرَى أَنَّهَا عَلَى وَشْكِ اَلسُّقُوطِ! هَذَا بَدَلاً مِنْ أَنْ تَبْحَثَ لَهَا عَنْ حَلٍّ لِتُنْقِذهَا؟! أَهِيَ أَهَمَّ لَدَيْكَ أُمُّ تِلْكَ اَلْأَمْوَالِ اَلسَّخِيفَةِ اَلَّتِي تَتَحَدَّثُ عَنْهَا؟! فَسَأَلَهُ بِغَضَبٍ وَهُوَ يَهُمُّ بِالدُّخُولِ مَعَهُ فِي شِجَارٍ سَخِيفٍ:

_ وَمَا شَأْنُكَ أَنْتَ؟!

وَدَّتْ لَوْ تَسْأَلُهُ نَفْسُ اَلسُّؤَالِ، لَوْلَا أَنَّهَا تَعْرِفُ أَنَّهُمْ فِي تِلْكَ اَلْبَلْدَةِ أُنَاس بُسَطَاءُ نُفُوسُهُمْ نَقِيَّةً لَمْ تَتَلَوَّثْ بِالْجَشَعِ وَالْأَنَانِيَّةِ بُعْد، فَظَنَّتْ أَنَّ مُرُوءَتَهُ هِيَ مَا تَتَحَكَّمُ فِيهِ، لَكِنَّهَا اِنْدَهَشَتْ لِرِدَّةِ فِعْلِهِ، فَهُوَ لَمْ يُعِيرَ عَرِيسُهَا أَدْنَى اِهْتِمَامٍ أَوْ اِنْتِبَاهٍ، بَلْ كَانَ يَنْظُرُ حَوْلَهُ بِجُنُونٍ وَكَأَنَّهُ يَبْحَثُ عَمَّا يَصْلُحُ لِاسْتِخْدَامِهِ فِي اَلْوُصُولِ إِلَيْهَا، وَسَأَلَ رَجُلٌ كَبِيرٌ فِي اَلسِّنِّ مِنْ اَلْوَاقِفِينَ يُشَاهِدُونَهَا بِلَا حَوَّلَ وَلَا قُوَّةً وَلَا مَقْدِرَةً لَدَيْهِمْ فِي إِنْقَاذِهَا:

_ إِنَّ جَلْبَنَا سَلَّمَ اَلْجَامِعُ أَسْتَطِيعُ اَلصُّعُودُ عَلَيْهِ و. قَاطَعَهُ اَلرَّجُلُ قَائِلاً بِأَسَفٍ:

_ لَنْ تَصِلَ لَهَا يَا وَلَدِي فَهِيَ فِي اَلطَّابَقِ اَلرَّابِعِ وَسَلَّمَ اَلْجَامِعُ بِالْكَادِ يَصِلُ لِلطَّابَقِ اَلثَّانِي.

نَظَرُ إِلَيْهَا بِعَجْزٍ أَدْهَشَهَا كَثِيرًا! وَعَيْنَيْهِ تُرْسِل إِلَيْهَا رَسَائِلُ عَجِيبَةٌ! وَبِهَا جَزَعٌ لَمْ تَرَهُ فِي عَيْنِ اَلْوَاقِفِ بِجِوَارِهِ وَهُوَ اَلْأَحْرَى بِهِ أَنْ يَنْظُرَ إِلَيْهَا هَكَذَا! وَوَالِدُهَا يَهْذِي مِنْ شِدَّةِ عَجْزِهِ قَائِلاً:

_ لَيْتَنِي أَسْتَطِيعُ اَلْوُصُولُ إِلَيْهَا مِنْ دَاخِلِ اَلشَّقَّةِ، لَكِنَّ هَذَا مُحَالٌ؛ فَمِنْ يُخْمِدُ اَلنِّيرَانَ اَلَّتِي اِسْتَعَرَتْ فِيهَا لَمْ يَسْتَطِعْ حَتَّى اَلْآنَ أَنْ يَدْخُلَهَا.

رَبَّتْ اَلْغَرِيبَ اَلشَّهْمِ عَلَى كَتِفِهِ قَائِلاً فِي مُوَاسَاةٍ:

_ لَا تَخَافُ يَا عَمَاهُ، فَلَقَدْ وَضَعْنَا تِلْكَ اَلْمَرَاتِبِ أَسْفَلَ اَلنَّافِذَةِ إِنَّ حَدَثَ لَا قَدْرَ اَللَّهِ وَسَقَطَتْ قَبْلَ وُصُولِ اَلْمُسَاعَدَةِ.

أَغْمَضَتْ عَيْنَيْهَا بِضَعْفٍ وَحُزْنٍ بَالِغٍ، فَلَمْ يَعُدْ بِمَقْدُورِهَا رُؤْيَةَ اَلْحَنَقِ أَكْثَرَ مِنْ هَذَا فِي عَيْنِي عَرِيسُهَا، وَرَغْمُ مَوْقِفِهَا اَلصَّعْبِ إِلَّا أَنَّهَا حَمِدَتْ اَللَّهَ عَلَى أَنَّهَا لَمْ تُوَافِقْهُ عَلَى عَقْدِ اَلْقِرَانِ إِلَّا فِي قَاعَةِ اَلزِّفَافِ، لِحِرْصِهَا اَلشَّدِيدِ عَلَى أَلَّا يُقَرِّبَهَا بِأَيِّ شَكْلٍ كَانَ إِلَّا وَهِيَ فِي بَيْتِهِ . . وَحَمِدَتْ اَللَّهَ كَذَلِكَ عَلَى أَنْ كَشْفِهِ لَهَا فِي هَذَا اَلْمَأْزِقِ . . لَقَدْ اِكْتَشَفَتْ حَقِيقَتُهُ اَلْمَادِّيَّةُ وَالْأَنَانِيَّةُ اَلَّتِي يَتَمَتَّعُ بِهَا، وَأَدْرَكَتْ كَذَلِكَ مِقْدَارَهَا عِنْدَهُ، وَقَرَّرَتْ بِدَاخِلَهَا عَدَمُ إِتْمَامِ تِلْكَ اَلزِّيجَةِ . . وَجَاءَتْ أَخِيرًا سَيَّارَةَ اَلْمَطَافِئِ، فَتَوَقَّفَ اَلشَّابُّ حَائِرًا! أَيُعَطِي اَلْفُرْصَةُ لِعَرِيسِهَا بِإِنْقَاذِهَا وَالصُّعُودِ إِلَيْهَا أَمْ يُلْقِيهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ وَيَصْعَدُ هُوَ؟! وَحِينَمَا كَانَ رِجَالُ اَلْمَطَافِئِ يُفْرِدُونَ اَلسُّلَّمُ سَمِعَ وَالِدُ اَلْعَرِيسِ يَقُولُ لِابْنِهِ:

_ اِصْعَدْ وَاجْلِبْ عَرُوسَكَ يَا (طَلَالْ).

نَظَرُ إِلَيْهَا بِامْتِعَاضٍ وَقَالَ بِخُفُوتٍ سمعه الشاب:

_ لَوْ صَعَّدَتْ إِلَيْهَا سَأُلْقِيهَا بِنَفْسِي مِنْ هُنَاكَ.

اِتَّسَعَتْ عَيْنَا اَلشَّابِّ فِي غَضَبٍ هَادِرٍ وَحَسْمِ أَمْرِهِ وَتَقَدَّمَ هُوَ بِجُرْأَةٍ قَائِلاً لِرِجَالِ اَلْمَطَافِئِ بِحَزْمٍ:

_ أَنَا مِنْ سَأَصْعَدُ لِأَجْلِبِهَا.

فَقَالَ لَهُ اَلرَّجُلُ بِعَمَلِيَّةٍ:

_ أُتْرُكْ لَنَا هَذَا اَلْعَمَلِ وَلَا تَخْشَى عَلَيْهَا، فَنَحْنُ مُدَرَّبُونَ.

فَقَالَ بِإِصْرَارٍ أَدْهَشَ وَالِدُهَا وَالجَمِيعْ:

_ بَلْ أَنَا مِنْ سَيُصَعِّدُ.

وَلَمْ يَنْتَظِرْ أَكْثَرَ لِيَتَقَدَّمَ وَأَسْرَع يَعْتَلِي اَلسِّلْمُ وَيَصْعَدُ بِرَشَاقَةٍ وَكَأَنَّهُ يَفْعَلُ شَيْئًا عَادِيًّا! وَكَانَتْ هِيَ غَائِبَةٌ عَمَّا يَحْدُثُ مُغْمَضَةً اَلْعَيْنَيْنِ تُقَاوِمُ فِقْدَانَ اَلْوَعْيِ بِشِدَّةٍ وَذِرَاعِهَا يُرْسِل إِشَارَاتِ أَلَمٍ إِلَى عَقْلِهَا تَكَادُ تُطِيحُ بِهِ، فَسَمِعَتْ صَوْتًا هَادِئًا عَلَى مَقْرُبَةٍ مِنْهَا لِتَنْظُر أَمَامِهَا بِدَهْشَةٍ فَرَأَتْهُ! ذَلِكَ اَلشَّابِّ اَلشَّهْمِ أَمَامَهَا مُبَاشَرَةً يَنْظُرُ إِلَيْهَا بِابْتِسَامَةٍ سَمْحَةٍ وَيَقُولُ:

_ أَنْتَ فَتَاةٌ شُجَاعَةٌ حَقًّا، وَقُوَّةُ تَحَمُّلِكَ عَالِيَةً مَا شَاءَ اَللَّهُ.

وَمَدَّ يَدَهُ إِلَيْهَا سَائِلًا بِصَوْتٍ مُتَهَدِّجٍ:

_ هَلْ تَقْبَلِينَ بِي مُنْقِذًا؟

وَضَعَتْ يَدُهَا اَلْحُرَّةُ فِي يَدِهِ قَائِلَةً بِإِنْهَاكٍ:

_ وَهَلْ أَمْلِك مِنْ أَمْرِي شَيْئًا لِأَخْتَارَ.

أَمْسَكَ يَدَهَا بِقُوَّةٍ قَائِلاً بِتَشْجِيعٍ وَهُوَ يُحَاوِلُ جَذْبَهَا إِلَيْهِ بِكِلْتَا يَدَيْهِ:

_ دَائِمًا مَا تَمْلِكُ حَقُّ اَلِاخْتِيَارِ، ضَعْفُ شَخْصِيَّتِنَا هُوَ مَا يُعْمِينَا عَنْ ذَلِكَ فَحَسْبَ.

لَمْ تَكُنْ بِحَالَةٍ جَيِّدَةٍ لِمُنَاقَشَتِهِ فَفَوْرِ أَنْ شَعَرَتْ بِدَعْمِهِ وَتَشَبُّثِهِ بِهَا وَجَذْبِهَا إِلَيْهِ حَتَّى اِنْهَارَتْ فَاقِدَةً اَلْوَعْيِ، فَأَرَاحَ جَسَدُهَا عَلَى كَتِفِهِ وَتَشَبَّثَ بِهَا بِيَدٍ وَاحِدَةٍ بِقُوَّةٍ وَأَخْذٍ يَنْزِلُ مُتَشَبِّثًا بِالسِّلْمِ بِيَدِهِ اَلْأُخْرَى بِبُطْءٍ، حَتَّى وَصَلَ إِلَى اَلْأَسْفَلِ، فَحَاوَلَ وَالِدُهَا أَخْذُهَا مِنْهُ، إِلَّا أَنَّهُ تَحَرُّكُ بِهَا قَائِلاً:

_ تَعَالِ يَا عَمَاهُ.

وَلَمْ يَزِدْ، وَدَخَلَ بِهَا اَلْبِنَايَةُ اَلْمُقَابَلَةُ وَصَعِدَ لِلطَّابَقِ اَلثَّانِي وَوَالِدَيْهَا خَلَفَهُ مَعَ وَالِدَيْهِ هُوَ . . أَرْقَدَهَا عَلَى اَلْأَرِيكَةِ بِلُطْفٍ، وَنَظَرَ لِوَالِدِهَا وَهُوَ يَلْهَثُ، فَتَقَدَّمَ اَلْأَخِيرُ يَتَفَقَّدُ اِبْنَتَهُ وَيُحَاوِلُ إِفَاقَتَهَا وَسَاعَدَتْهُ وَالِدَتَهَا وَوَالِدَةَ اَلشَّابِّ، بَيْنَمَا اِبْتَعَدَ هُوَ وَوَالِدُهُ اَلَّذِي كَانَ يَتَفَرَّسُ مَلَامِحَ وَلَدِهِ بِتَمَعُّنٍ، وَنُزُلاً بِالْأَسْفَلِ مَرَّةً أُخْرَى لِيُتَابِعَا عَمَلَ رِجَالِ اَلْإِطْفَاءِ، فَوَجَدَا أَهْلَ اَلْعَرِيسِ يَضْغَطُونَ عَلَيْهِ لِيَصْعَدَ وَيَطْمَئِنَّ عَلَى عَرُوسِهِ، فَغَضِبَ الشَاب بِشِدَّةٍ وَجَزَّ عَلَى أَسْنَانِهِ بِحَنَقٍ، فَقَالَ لَهُ وَالِدِهِ هَامِسًا:

_ أُخْفِيَ اِنْفِعَالُكَ هَذَا، فَهُوَ يَفْضَحُ حَقِيقَةَ مَشَاعِرِكَ وَسَتَضَعُنَا فِي مَوْقِفٍ حَرِجٍ.

وَارَى (فَارُوقْ) وَجْهِهِ عَنْ اَلْبَشَرِ، وَأَخْذ يَتَنَفَّسُ بِعُمْقٍ لِيَهْدَأْ وَهُوَ يُقَسِّمُ دَاخِلِهِ بِأَغْلَظ اَلْأَيْمَانِ بِأَنَّهُ لَنْ يَسْمَحَ لِذَلِكَ اَلْوَغْدِ بِالصُّعُودِ إِلَيْهَا مُهِمًّا حَدَثَ . . نَزَلَ وَالِدُهَا بِسُرْعَةٍ قَائِلاً

لِه بِتَوَتُّرٍ:

_ (فَارُوقْ)، لَابُدَّ مِنْ نَقْلِهَا إِلَى اَلْمُسْتَشْفَى، فَهِيَ لَا تَسْتَجِيبُ لِمُحَاوَلَتِنَا فِي إِفَاقَتِهَا.

أَسْعَدَهُ كَثِيرًا أَنَّ وَالِدَهَا طَلَبَ مِنْهُ هُوَ اَلْعَوْنُ وَلَمْ يَطْلُبْهُ مِنْ عَرِيسِهَا اَلْوَاقِفِ عَلَى بُعْدِ أَمْتَارٍ مِنْهُمَا، وَرَدَ عَلَيْهِ بِسُرْعَةٍ:

_ فَلْيَكُنْ عَمَاهُ، هَيَّا بِنَا.

وَأَسْرَعُ يُجْلِب سَيَّارَتُهُ اَلْخَاصَّةُ وَأَوْقَفَهَا أَمَامَ بِنَايَتِهِ وَأَسْرَع يَتَرَجَّل مِنْهَا لِيَصْعَدَ، وَفِي مَنْزِلِهِ عَادَ يَحْمِلُهَا وَيَنْزِلُ بِهَا وَلَكِنْ قَبْلَ أَنْ يَضَعَهَا بِسَيَّارَتِهِ وَقْفَ أَمَامَهُ (طَلَالْ) مُحَاوِلاً أَخْذُهَا مِنْهُ قَائِلاً بِنَزَقٍ:

_ أُعْطِيهَا لِي وَلَا تَشْغَلُ بَالَكَ، فَمَا فَعْلَتُهُ يَكْفِي وَيَزِيدُ.

وَقَبِلَ أَنْ يَرُدَّ عَلَيْهِ فَتَحَ وَالِدِهَا بَابَ سَيَّارَتِهِ هُوَ اَلْخَلْفِيُّ وقَالْ ضَارِبًا بِعَرِيسِ اِبْنَتِهِ وَكَلَامِهِ عُرْضَ اَلْحَائِطِ:

_ هَيَّا يَا (فَارُوقْ)، أَجْلَسَهَا هُنَا يَا بُنَي.

وَكَانَ هَذَا فَصْلُ اَلْخِتَامِ، فَأَجْلَسَهَا فِي سَيَّارَتِهِ وَرُكِّبَتْ وَالِدَتُهَا بِجِوَارِهَا وَاحْتَضَنَتْهَا بِحَنَانٍ، وَوَالِدُهَا مَعَهُ فِي اَلْمَقْعَدِ اَلْأَمَامِيِّ وَقَادَ سَيَّارَتَهُ وَهُوَ يَنْظُرُ بِتَشَفٍّي لعَرِيسَهَا فِي المِرْآةِ اَلْخَلْفِيَّةِ، وَهُوَ يَرَى ذَلِكَ اَلطَّلَالَ يَكَاد يَشُدُّ شِعْرَ رَأْسِهِ مِنْ اَلْغَضَبِ لِعَدَمِ اِهْتِمَامِ وَالِدِ عَرُوسِهِ بِهِ وَلا لِمُنَظِّرِهِ أَمَام ذَلِكَ اَلْجَمْعِ اَلْغَفِيرِ . .

***

فِي حَفْلِ زِفَافٍ آخَرَ، وَنَفْسَ اَلْعَرُوسِ لَكِنْ مَعَ اِخْتِلَافِ اَلْعَرِيسِ . . فَلَقَدْ أَفْلَحَ (فَارُوقْ) بِالْفَوْزِ بِحُبِّ عُمْرِهِ وَطُفُولَتِهِ، وَلَمْ تَكُنْ اَلْأَرْضُ تِسْعَه مِنْ شِدَّةِ سَعَادَتِهِ . . نَزَلَا مِنْ مَقَاعِدَ اَلْعَرُوسَانِ لِيَشْتَرِكَا فِي رَقْصَةٍ

بَطِيئَةٍ، فَأَخَذَ يَهْمِسُ إِلَيْهَا قَائِلاً:

_ اَلْيَوْمُ اِحْكِي لَكَ حِكَايَةُ طِفْلٍ يَرَى شَمْسَهُ تُشْرِقُ فِي كَبِدِ اَلسَّمَاءِ فِي إِجَازَةِ اَلصَّيْفِ فَقَطْ . . وَتَغَرَّبَ عَنْهُ بَقِيَّةُ اَلْعَامِ، طِفْلَةٌ تَصْغُرُهُ بِثَلَاثَةِ أَعْوَامٍ مَشَاغِبَة كُلَّمَا أَتَتْ تَعِيثُ فِي عَالَمِهِ اَلْفَسَادِ، وَتَرْحَلَ عَنْهُ فَيَبْقَى وَرَائِهَا وَحِيدًا وَقَلْبُهُ شَرِيدٌ ضَائِع . . وَاخْتَفَتْ كُلِّيًّا فِي مُرَاهَقَتِهِ فَأَصْبَحَ يَدَعُوا رَبُّهُ كُلَّ صَيْفٍ أَنْ تَأْتِيَ وَلَوْ فَتْرَةً وَجِيزَةً يَرَاهَا بِهَا وَيَطْبَعُ مَلَامِحَهَا اَلَّتِي شَبَّتْ قَلِيلاً فِي مُخَيِّلَتِهِ وَيُغْلِقُ عَلَيْهَا بِأَقْفَالِ حَدِيدِيَّةٍ حَتَّى تَأْتِيَ مَرَّةٌ أُخْرَى، فَلَمْ تَأْتِيَ إِلَّا بَعْدَ أَعْوَامٍ كَانَ هُوَ قَدْ تَخْرُجُ وَهِيَ أَصْبَحَتْ فَتَاةُ حَيَّيْهِ لَا تَظْهَرُ إِلَّا فِيمَا نَدَرَ، وَاخْتَفَتْ لِأَعْوَامٍ أُخْرَى، وَحِينَمَا أُصْبِح جَاهِزًا لِلذَّهَابِ إِلَيْهَا طَالِبًا يَدُهَا فُوجِئَ بِهَا تَأْتِي لِتُتَمِّمَ زَوَاجَهَا مِنْ آخِرٍ يَقْرُب إِلَيْهَا.

شَابَّ وَجْهِهِ اَلْحُزْنِ وَقْتَهَا فَابْتَسَمَتْ بِسَعَادَةٍ لِأَنَّهَا اِكْتَشَفَتْ أَنَّهَا حُبُّ طُفُولَةٍ وَشَبَابٌ لِأَحَدِهِمْ، فَنَظَرَ لَهَا بِعِتَابٍ قَائِلاً بِمُشَاكَسَةٍ:

_ أَسَعِيدَة أَنْتَ بِأَحْزَانِي؟!

فَضَحِكَتْ بِخُفُوتٍ وَنَظَرَتْ لِأَسْفَل بِخَجَل قَائِلَةٍ بِصِدْقٍ:

_ كَلَا، بَلْ سَعِيدَةً لِأَنَّنِي اِشْغَلْ بَالَكَ مُنْذُ فَتْرَةٍ طَوِيلَةٍ لِلْغَايَةِ، رَغْمَ أَنَّنِي لَمْ أَلْحَظْ ذَلِكَ

مِنْ قَبْلُ! وَلَمْ أَكُنْ أَعْرِفُكُ قَبْلَ يَوْمِ إِنْقَاذِكَ لِي.

اِبْتَسَمَ إِلَيْهَا قَائِلاً بِحَنَانٍ:

_ أَحْبَبْتُكُ لَكِنَّنِي لَمْ أُصَرِّحْ بِذَلِكَ اَلْحُبِّ، فَلَقَدْ كُنَّا صِغَارًا وَتَرْبِيتٌ عَلَى كِتْمَانِ مَا أَشْعُرُ بِهِ حَتَّى يَأْتِيَ وَقْتُهُ . . لَكِنَّكَ لَمْ تَصْبِرِي عَلِي.

خَتْمُ قَوْلِهِ بِعِتَابٍ آلَمَهَا فَسَأَلَتْهُ بِاسْتِنْكَارٍ:

_ وَهَلْ كُنْتَ أَعْرِفُ عَنْكَ شَيْئًا لِأَصْبِرْ عَلَيْكَ؟! ضَمَّهَا قَائِلاً بِهَمْسٍ:

_ هَا قَدْ عِرْفَتِي مَا أَشْعُرُ بِهِ مُنْذُ أَنَّ كَنْتِي طِفْلَةً وَحَتَّى اَلْآنَ، فَهَلْ أَطْمَعَ بِأَنْ تَكُونِينَ قَدْ رَأَيْتُ اَلْفَتَى اَلَّذِي يَسْكُنُ فِي اَلْبِنَايَةِ اَلْمُقَابَلَةِ لِبِنَايَتِك، وَاَلَّذِي كَانَ يَتَعَمَّدُ إِزْعَاجُكِ وَأَنْتِ تَلْعَبِينَ مَعَ رَفِيقَاتُكَ؟ أَذْكُرُ يَوْمًا كُنْتَ أَتَعَمَّدُ أَنَّ أَخْطُوا أَمَامَكِ بِصَوْتٍ عَالٍ وَأَنْتِ مُغْمَضَةِ اِلْعَنِينِ بِعِصَابَةٍ وَتَبْحَثِينَ عَنْ صُوِيْحَبَاتَكْ وَكُنْتِ تُحَاوِلِينَ اَلْإِمْسَاكُ بِي لَكِنِّي كُنْتَ أَفِرُّ مِنْ حَوَّلَكَ بَعْدَ أَنْ أَبْعَدَكِ عَنْهُنَّ فَيَهْتِفنَ إِلَيْكِ بَعْدَهَا بِسُخْرِيَةِ أَنَّكِ قَدْ أَضْعِتِهْنْ وَابْتَعَدَتِ كَثِيرًا عَنْهُنَّ، وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ جَارُكِ اَلْوَسِيمُ.

وَابْتَعَدَ قَلِيلاً قَائِلاً بِلَهْجَةٍ عَابِثَةٍ أَعَادَتْهُمَا لِلْوَرَاءِ، لِأَعْوَامِ اَلْبَرَاءَة:

_ أَتَذَكَّرِينَ اِنْتِقَامُكِ مُنِيَ بُعْدُهَا؟ حِينَمَا بِعَثْرَتِي لِي كُرَاتِي اَلصَّغِيرَةِ _ اَلْبِلَى _ فِي عِز اِنْدِمَاجِي بِاللَّعِبِ بِهَا وَشَرَعَ رِفَاقِي بِتَوْبِيخَكِ فَوَقَفَتْ أَمَامُهُمْ لِأُدَافِعَ عَنْكِ وَسَأَلَتُكِ بُعْدَهَا "هَلْ أَنْتَ بِخَيْرٍ؟"

رَغْمَ أَنَّكِ حَرْفِيًّا تَعَمَّدَتْ أَنْ تُفْسِدِينَ لُعْبَتِي لِتَنْتَقِمِي وَتَخَلَّوْا اَلسَّاحَةَ لَكِ ولَرَفِيقَاتَكْ، فَذَهَبَتْ بِرِفَاقِي بَعِيدًا رَغْبَةً مُنِيَ فِي إِسْعَادَكِ وَلَوْ بِقَلِيلٍ مِنْ اَلْمَرَحِ؟

تَذَكَّرَتْ بِالْفِعْلِ ذَلِكَ اَلطِّفْلِ وَعَادَتْ تَنْظُرُ إِلَيْهِ بِتَدْقِيقٍ وَهِيَ تَسْأَلُ نَفْسَهَا

"أَحَقًّا هُوَ؟!"

وَبُعْدُهَا ضَحِكَتْ بِسَعَادَةٍ حَقِيقِيَّةٍ وَهِيَ تُحْمَدُ رَبَّهَا فِي عُثُورِهَا عَلَيْهِ وَقَالَتْ بِسُرُورٍ ضَاحِكٍ هَدَّدَ بِثَبَاتِهِ:

_ تَذْكِرَتُكَ، أَنْتَ فَارِسِيّ اَلصَّغِيرِ.

تَطَلَّعُ إِلَيْهَا بِذُهُولٍ وَتَسَاؤُلٍ، فَقَالَتْ بِفَرْحَةٍ عَارِمَةٍ:

_ أَتَذَكَّرُ فِي مَرَّةٍ كُنْتَ أَلْعَبُ بِأُرْجُوحَةٍ صَنَعَهَا لِي جِدِّيّ فِي مَدْخَلِ اَلْبِنَايَةِ، وَكُنْتُ قَدْ أَوْشَكَتْ عَلَى اَلْوُقُوعِ مِنْهَا وَهِيَ عَالِيَةٌ بِي وَسَاقَيَّ مُتَدَلِّيَةً وَكُنْتُ عَلَى وَشْكِ كَسَرَهَا لَوْ كُنْتُ اِقْتَرَبْتُ مِنْ اَلْأَرْضِ وَحَشَرَتِهَا بَيْنَهَا وَبَيْنَ مَدْخَلِ اَلْبَابِ، فَأُتِيَ لِي مُنْقِذٌ اِخْتَطَفَنِي مِنْ فَوْقِ اَلْأُرْجُوحَةِ قَبْلَ أَنْ تَحَدَّثَ اَلْكَارِثَةَ وَأَوْقَفَنِي عَلَى قَدَمِي خَارِجَ اَلْبِنَايَةِ وَسَأَلَنِي أَأَنَا بِخَيْرٍ؟ لَكِنَّنِي مِنْ شِدَّةِ ذُهُولِي فِي تِلْكَ اَللَّحْظَةِ لَمْ أَعِيَ بِوُجُودِهِ وَلَا بِمَا حَدَثَ خِلَالَ ثَوَانٍ مَعْدُودَةٍ وَلَا بِمَاذَا كَانَ سَيَحْدُثُ لِي وَقْتِهَا إِنَّ لَمْ يُنْقِذْنِي هُوَ؟ صَعَّدَتْ إِلَى شَقَّةِ أُسْرَتِي خَائِفَةً وَقَدْ لَجَّمَتْنِي اَلصَّدْمَةُ. وَنَظَرَتْ لَهُ بِامْتِنَانٍ وَعِشْقَ تُوَلِّدُ لَهُ فَحَسْبَ، أَوْ بِالْأَحْرَى فَهُوَ قَدْ اِسْتَيْقَظَ مِنْ سُبَاتِهِ اَلْعَمِيقِ وَأَرْدَفَتْ بِشَجَنٍ:

_ لَكِنَّنِي بَعْد دَقَائِقَ نَظَرَتْ مِنْ اَلنَّافِذَةِ فَرْأيتَكْ لَازِلْتَ وَاقِفًا وَحْدَك وَنَظْرَةُ حُزْنٍ تَكْسُو عَيْنَيْكَ.

فَأَكْمَلَ بِهَمْسٍ مُتَأثْر:

_ حَزِنَتْ لِأَنَّكِ ذَهَبَتِ وَلَمْ تَطَمْئِنِينِنِي عَلَيْكَ.

وَسَأَلَهَا بِابْتِسَامَةِ عَرِيضَةٍ زَادَتْهُ وَسَامَّة فِي عَيْنَيْهَا: _ كُنْتَ تُلَقَّبِينَنِي بِفَارِسِكَ اَلصَّغِير؟

ضَحِكَتْ وَهِيَ تُومِئُ بِرَأْسِهَا إِيجَابًا وَأَكْمَلَتْ قَائِلَةً بِسَعَادَةٍ رُغْم الخَجَلْ:

_ دَوْمًا أَنْتَ فَارِسِيّ، صَغِير كُنْتُ أَوْ شَابٍّ . . حَتَّى وَإِنْ أَصْبَحَتْ عَجُوزًا، سَتَظَلُّ فَارِسِيّ عَلَى اَلدَّوَامِ. نَظْرَةٌ اِحْتَلَّتْ عَيْنَيْهِ لَمْ تَدْرِيَ كُنْهَهَا وَقَالَ بِحَزْمٍ:

_ هَيَّا، اِنْتَهَى اَلْحَفْلُ.

وَأَمْسَكَ يَدَهَا وَأَخَذَ يُعِدُّوا مُتَشَبِّثًا بِهَا تُصَاحِبُهُمَا ضِحْكَاتُهَا وَضِحْكَاتُ

وَالِدَيْهِمَا وَتَصْفِيقِ أَقَارِبِهِمَا وَصَفِيرْ أَصْدِقَائِهِمَا . . خَارِجًا مِنْ اَلْقَاعَةِ وَمُغَادِرًا اَلْحَفْلَ بِأَكْمَلِهِ . . يَعْدُوَانِ جَنْبًا إِلَى جَنْبٍ فِي سَعَادَةٍ طَاغِيَةٍ وَكَأَنَّهُمَا عَادَا صِغَارًا، لِيَبْنِيَا عُشَّهُمَا سَوِيًّا وَقَدْ اِسْتَحَقَّ كُلًّا مِنْهُمَا اَلْآخَرَ . .

بِحِفْظِهَا لِنَفْسِهَا لَمِنْ يَسْتَحِقُّهَا، وَبِحِفْظِهِ لَهَا وَعَدَمِ إِخْبَارِهَا بِمَكْنُونِ قَلْبِهِ إِلَّا وَقْتٌ أَنَّ أَصْبَحَتْ زَوْجَتُهُ، شَبَّ حَرِيقٌ لِأَجْلِ جَمَعَهُمَا مَعًا، فَكَانَتْ نِيرَان صَدِيقَة

***

تمت